التعليم في جامع الزيتونة
خلال النصف الأول من القرن العشرين
(دراسة في المنهج والبرنامج).

د/ محمد بوطيبي
جامعة يحي فارس - المدية

الملخص:
يعد جامع الزيتونة واحد من مراكز الإشعاع الفكري والعلمي التونسي، كغيره من المنارات العلمية الأخرى مثل المدرسة الحربية والجمعية الخلدونية والصادقية. فقد ساهم الجامع الأعظم في الحياة الفكرية والعلمية والأدبية التي طبعت البلاد التونسية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، والتي انعكست تأثيراتها الفكرية على الحركتين الإصلاحية والوطنية التونسيين، التي امتدت تأثيراتها إلى البلدان المغاربية، بما في ذلك الجزائريون الذين نقعوا الكثير من جامع الزيتونة، الذي تجلى في الحركة العلمية والإصلاحية التونسية خلال النصف الأول من القرن العشرين .

وقد حاولنا التركيز على تعريف وتطور التعليم جامع الزيتونة في تونس، و البرامج التعليمية التي كانت تقدم لطلابه في جامع الزيتونة، والمراحل التي يقطعها الطالب للحصول على شهادة التطويع، هي الإصلاحات التي عرفها الجامع منذ عهد خير

الدين باشا إلى غاية نهاية الحماية الفرنسية على تونس 1881-1956.

الكلمات المفتاحية:

جامع الزيتونة؛ الجامع الأعظم؛ الإصلاح؛ الزيتوني؛ الطلبة الزيتونيين؛ خير الدين التونسي؛ التعليم الأهلي؛ مناهج؛ برامج تعليمية.

Résumée :

La mosquée d EZ Zitouna est l'un des centres intellectuels et scientifiques tunisiens, comme les autres centres scientifiques ; tels que l'Ecole EL -HARBIA et EL Alkhaldoniah et Sadiki. La Grande Mosquée a contribué à la vie intellectuelle, scientifique et littéraire, qui a visé le pays tunisien à la fin du XIXe siècle et le début du XXe siècle, ce qui reflète l'impact des mouvements intellectuels réforme et tunisiens nationaux, qui a étendu son impact sur les pays du Maghreb, y compris les Algériens qui imbibée beaucoup de la mosquée Ez Zitouna, Ce qui s'est manifesté dans le mouvement scientifique et réformateur tunisien durant la première moitié du XXe siècle.

Nous avons essayé de mettre l'accent sur la définition et le développement de système éducatif de la mosquée Ez-Zitouna à Tunis, et des programmes éducatifs qui ont été offerts à ses élèves à la mosquée Ez-Zitouna, et les étapes parcourues par l'étudiant pour obtenir un certificat de localisation, les réformes connues à la mosquée depuis l'époque de kheir edin Pacha jusqu'à la fin de protectorat français à la Tunisie 1881- 1956 .

Mots clés:

MosquéeEz- Zitouna, la Grande Mosquée, la réforme, olivine, étudiants d’Ez- Zatonien, la meilleure religion de la Tunisie, l'éducation civique, les programmes, le méthodes éducatifs.

مقـــدمة:

تعتبر مسألة التعليم من المسائل الكبرى التي شغلت اهتمامات المفكرين التونسيون كغيرها من مسائل المرأة والشغل والعدالة الاجتماعية، ورغم أن تونس اشتهرت ببعض المراكز العلمية الكبرى مثل جامع الزيتونة، الجمعية الخلدونية والمدرسة الصادقية، فقد أثارت مسألة التعليم نقاشا حادا بين النخبة حول نوع التعليم وكيفيته ومناهجه وإصلاحه، خاصة في جامع الزيتونة الذي أصبح يعاني انتقادات كثيرة في مطلع القرن العشرين في الجرائد والدوريات التونسية، وحتى من طلاب الزيتونة أنفسهم.

فالجامع الأعظم الذي كان قبلة للتونسيين والمغاربة لإتمام دراستهم في تونس، كان يعتمد الطرق والمناهج التعليمية المنتهجة في جامع الزيتونة، التي كانت تقليدية لا تساير العصر.

- فما هو جامع الزيتونة؟ وما هي البرامج والمناهج والعلمية المتبعة في جامع الزيتونة؟

وما هو موقف السلطات الزمنية الفرنسية من جامع الزيتونة وما هي المؤسسات العلمية التي أوجدتها للحد من تأثيرات جامع الزيتونة ؟

1- التعريف بجامع الزيتونة:

جـامع الزيتـونة أسسه على الأرجح حسان بن النعمان فاتح تونس في حدود 9ه/ (698-699) م، عرف صدور قانون التعليم 1251 بنقل الخزائن والكتب، أدخلت عليه إصلاحات جديدة في

عهد خير الدين التونسي (1225-1308)، متعدد البرامج يدرس فيه الطالب سبع سنوات كاملة.[1]

لقد كانت البلاد التونسية قبلة للمسلمين للتعليم بفضل مسجد القيروان وجامع الزيتونة، الذي كان مقصدا للطلبة للجزائريين والمغاربة والطرابلسية، وقد اعترف بذلك مدير التعليم العام لويس ماشويل أثناء انعقاد المؤتمر الإستشراقي بصفته ممثل الحكومة التونسية[(2)]، ويذكر فرانسوا لوفرو أن عدد الكتاب في أواخر القرن التاسع عشر بلغ حوالي 108 كتاتيب (مدارس قرآنية) في العاصمة وحدها، يدرس فيها حوالي 2400 تلميذا، أما في المناطق المتبقية فيوجد فيها 850 من الكتاتيب يدرس فيها حوالي 15000 تلميذا، و يحفظون فيها القرآن الكريم وبعض قواعد اللغة العربية والحقوق وكانت أحسن المؤسسات التعليمية توجد تونس العاصمة، وعلى رأسها جامع الزيتونة.[(3)] حيث بلغ عدد طلبة مسجد الزيتونة في أواخر القرن التاسع عشر وبالذات عام 1897م 930 طالبا.[(4)]

كان لجامع الزيتونة فروع عديدة تابعة له، مثل الجامع اليوسفي، الحفصي، المرادي وصاحب الطابع، وملاحق داخلية تابعة بموجب مرسوم 16 جويلية 1913م بسوسة، صفاقس،

---

[1] – أحمد الطويلي. دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية بتونس، (سوسة، تونس: مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر)، 1992، ص 148.

[2])- Lucien. (Heudebert), «L’enseignement musulman en Tunisie» in R. le musulman , no 25, 897, pp.177, 178.

[3])- François. (Bournond). TUNISIE ET TUNISIENS. imprimerie J. Lefort, Paris1893, P294.

[4])- D.G.E.P, Conférences Sur Les Administrations Tunisiennes, Imprimerie Française de Sousse,Tunis : 1899, p.461.

القيروان، توزر وقفصة، كما أضاف مرسوم 1جوان 1947 ملحقات بنزرت، باجة وقابس، المهدية، المنستير، مساكن، جمال، القبلي، منزل التميم، فريانة، جربة والكاف[5]، ساهمت كلها في تخرج الكثير من الطلبة التونسيين، الذين شكلوا نخبة علمية وفكرية في البلاد التونسية. والجدول التالي يبين تطور عدد الطلبة الذين كانوا يزاولون دراستهم في جامع الزيتونة وفروعه المختلفة مابين 1915م- 1948م:

الفترة	عدد الطلبة بجامع الزيتونة وفروعه
أكتوبر 1915	1092
أكتوبر1926	2050
أكتوبر1941	2629
أكتوبر1946	5000
أكتوبر1947	7107
أكتوبر1948	9818 - (6)

وعموما فإن جامع الزيتونة لم يكن مركزا للإشعاع العلمي فقط، بل كان مركز تواصل فكري بين أبناء العالم الإسلامي والمراكز العلمية الأخرى، مثل جامع القرويين بفاس المغربية، ومدارس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، وجامع الأزهر بالقاهرة. وظهر ذلك التواصل في فترة رئاسة الشيخ محمد الطاهر

---

5)- I.S.H.M.N.T, A.Q.O. L’université Ez-Zitounna. Op.cit., B: 616, Dos: 332, F: 113, 114.

6) - Ibid., F: 114.

بن عاشور للمسجد الأعظم، من خلال تبادل الخبرات العلمية، حتى التشاور في الشهادات العلمية.[7]

لقد برزت نخبة جامع الزيتونة بروزا واضحا، كغيرها من المؤسسات العلمية لأخرى، مثل الخلدونية في مطلع القرن العشرين، وأصبحت تتبع الحراك السياسي والاجتماعي في العالم العربي الإسلامي وما يلزمه ذلك الحراك من تساؤلات فكرية.[8] فالكثير من الزيتونيين ساهموا في الحركة الإصلاحية التونسية منذ نشأتها، ومنهم دعاة التجديد والاجتهاد، واطلعوا على العلوم الغربية[9]. ومن أفكارهم ارتوت الجرائد والصحف التونسية، ونشطت الحركة الفكرية العامة، من خلال المؤلفات التي طبعت الساحة الفكرية خلال النصف الأول من القرن العشرين.

2- البرامج والمناهج الدراسية في جامع الزيتونة:

إن المناهج والدروس الزيتونية التي كانت تدرس في الزيتونة تطرقت إليها جريدة الرائد التونسي بدقة، ونشرت في العدد الصادر يوم 23 فيفري 1876م طابع الكتب والمواد التي كانت تدرس في الجامع الأعظم وهي نفسها التي حافظت المدرسة على تدريسها بعد إصلاح 1912م.[(1)]

---

[7])- I.S.H.M.N.T, A.Q.O. L'université Ez-Zitounna. Op.cit., B: 616, Dos: 332, F: 117.

[8])– م.أ.ت. ح.و، العلامة الشيخ محمد الشاذلي النيفر 1911–1997. ط 1، مطبعة المغرب للنشر ،تونس:2011، ص34.

[9])– علي الزيدي، الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية1904–1945. ط 1، مطبعة دار نهى بصفاقس، تونس: 2007، ، ص 599.

فكانت مدة الدراسة في الجامع الأعظم قبل صدور الأمر العلي في 30 ماس 1933م تستغرق سبع سنوات على مراحل تعليمية ثلاث : الابتدائي، الثانوي والعالي، ولم تكن لهذه المراحل الفرعية شهادة خاصة بها، بل كان يتخرج الطالب بشهادة واحدة ألا وهي شهادة التطويع عند التخرج، لكن أمرية 16 سبتمبر 1912 م حددت هذه الشهادات المرحلية على النحو التالي : أولى، متوسطة وعالية تتوج بشهادة التطويع لدى الطالب المتخرج، وذلك بأن يقوم المتطوع بتربص يلقي فيه بعض الدروس ويقرأ كتب المرحلة العالية .

- فالمواد التي كانت تدرس منذ 1912 م فتنقسم إلى قسمين منها لإجبارية والاختيارية :

- فالمعارف الإجبارية : تتمثل في الحديث، السير، التوحيد، القراءات، التجويد، أصول الفقه، فقه الفرائض، آداب الشريعة، النحو والصرف، المعاني والبيان، اللغة والأدب وفروعها منها الإنشاء، التاريخ والجغرافيا، الرسم، الخطوط والعروض والمنطق وآداب البحث ومبادئ الحساب والجبر، الهندسة [(2)]، أما المواد الاختيارية فهي : التفسير، المصطلح، التصوف والميقات، والمعطيات التالية توضح المواد والكتب التي كان يدرسها الطالب في المرحلة التعليمية بجامع الزيتونة:

2-1 البرنامج التعليمي في المرحلة الأولى:

وتتمثل في تدريس عناوين في شتى التخصصات ، وهي:

- القراءة والتجويد: شرح القاضي على الجزرية لشمس الدين الجزري، شرح الباجوري على الجوهرة، الدرر و اللوامع لابن بري بشرح المار غني.[10]
- التوحيد : الصغرى وشرح الباجوري على الجوهرة.
- أصول الفقه: الحطاب على الورقات.
- الفقه : متن القدوري، نظم الشيخ حسن الصغير بشرحه، كفاية الغلام، شرح أبي الحسن على الرسالة، سيدي عبد الباقي على العزية، ميارة الصغير علي بن عاشر.
- الرسم : عنوان النجابة في علم الكتابة.
- البيان: شرح الدمنهوري على السمرقندية، شرح الملوي عليها.
- المنطق : الشرح الجربي على ايساغوجي، الشرح البيرمي عليه، شرح الملوي على السلم، شرح الشيخ على السلم.

2-2 البرنامج التعليمي في المرحلة المتوسطة:

ما يلاحظ أن التلميذ عندما يرتقي من المرحلة الأولى إلى المتوسطة يتوسع في فنون الدراسة ويحشى دماغه بمتون كتب قيمة، ذلك التعليم التقليدي في جوهره والذي لا يساير التطور الزمني، والكتب التي تدرس في المرحلة المتوسطة هي:

- الحديث: شرح الشبرخيتي على الأربعين النووية، شرح القاني عليها، الشمائل بشرح المناوي أو بشرح الباجوري .
- السير: الهمزية بشرح الجمل.
- التوحيد:الوسطى للشيخ السنوسي، وسيدي عبد السلام على الجوهرة، شرح ابن أبي الشريف على مسايرة ابن الهمام .

---

[10] الزيدي، مرجع سابق، ص 30.

- القراءات : الشاطبية بشرح ابن القاصح.
- المصطلح: الفقيه العراقي بشرح القاضي .
- أصول الفقه: المرآة على المرقاة، شرح المنازل لابن مالك(ابن فرشتة)، الشرح البيرمي على مختصر المنار، شرح التنقيح للقرافي، ألفية ابن عاصم في الأصول .
- الفقه: الدر المختار برد المحتار، شرح الوفاية لصدر الشريعة المنظومة الحبية، المختصر بشرح الدردير، التودي على العاصمية، ميارة على لامية الزقاق.
- الفرائض: السيد علي السراجية، الشنشوري على الرحبية، شرح الدرية للشيخ ابن ملوكة أو بشرح مؤلفها.
- التصوف وآداب الشريعة: الحكم بشرح ابن عباد، الطريقة المحمدية، النخبة العليا.
- الميقات: منظومة ابن غانم في العمل بالربع المجيب، رسالة سبط المارديني.
- المعاني والبيان: التلخيص بشرح مختصر السعيد، العصام على السمرقندية، شرح السمرقندية على رسالة الوضع.[(11)]
- اللغة والأدب: مقامات الحريري، العمدة لأبن رشيق، المعلقات السبع، شرح ابن هشام على قصيدة بانت سعاد، البردة بشرح ابن عاشور أو الجامي.

[11)]– أحمد خالد، أضواء من البيئة التونسية، الطاهر الحداد ونضال جيل.

ط 3، الدار التونسية للنشر، تونس: 1985، ص 30.

- التاريخ الجغرافيا: نبذة من تاريخ الإسلام وتاريخ تونس، رقم الحلل في نظام الدول.
- الرسم والخط: المطالع النصرية، ابن عاشور على نظم الحراز، شرح المارغيني على مورد الظمآن في رسما لمصحف.
- العروض: الكافي بشرح الدمنهوري .
- المنطق: شرح الخبيصي على التهذيب، شرح مختصر الشيخ السنوسي.
- آداب البحث: من لا حنفى على العضدية، مسعود الرومي على السمرقندية، القوانين لسلجقي زاده.
- الحساب :النخبة الحسابية، القلصادي، الرابع من الدروس الحسابية لشفيق.
- الصرف: دنقوز على المراح، الكافية بالشرح .
- النحو: الأشموني على الألفية، ابن عقيل عليها، التوضيح لابن هشام بشرح التصريح .**(12)**

فمن خلال العناوين السابقة يتبين كثرة المعارف التي كانت تقدم لطلبة المرحلة المتوسطة والمتمثلة أساسا في العلوم الدينية والإنسانية، بينما المنهج التجريبي العلمي كان غائبا تماما في جامع الزيتونة كما كان يستفيض الطالب من بعض المآخذ التي تحصل عليها في المرحلة الأولى.

أما الجانب المنهجي فالظاهر أنه كان يعتمد على الحفظ والتلقين وعدم مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة وكيفية التدرج

---

[12] نفسه، ص 31،30.

في المسائل ولذلك جاء قانون الإصلاح الصادر يوم 16 سبتمبر 1612م الذي نص على ما يلي:

- التدرج في الشرح قليل.
- الانتقال من السهل إلى الصعب .
- اختبار حال التلاميذ.
- مراعاة مستوى التلاميذ.
- إعادة الشرح إذا اقتضت الحاجة لذلك.[13]

3-3 مرحلة التعليم العالي: وهي المرحلة الأخيرة، حيث يذكر الشيخ الطاهر بصفته كان مدرسا بجامع الزيتونة وشيخ جامع الزيتونة بان الطالب بعد حصوله على شهادة التطويع : "يشتغل المحصل بالتعليم العالي". فيطلب من الطالب إقراء الكتب المرحلة الابتدائية ويتدرج بقراءة كتب المرحلة العالية، وعلومها: التفسير، الحديث، أصول الفقه، البلاغة ، النحو ، اللغة، الآداب والكلام. وليس بالضرورة التعامل مع هذه المراجع بل يكتفي بما تستدعيه منه الواجب التعليمي. خاصة في التفسير والحديث.[14]

وعموما فإن جامع الزيتونة لم يكن مركز إشعاع علمي فقط، بل كان محطة تواصل فكري بين أبناء العالم الإسلامي، والمراكز العلمية الأخرى، مثل جامع القرويين بفاس بالمغرب الأقصى، وجمعية العلماء المسلمين بالجزائر، وجامع الأزهر

---

[13] خالد أحمد ، المرجع السابق، ص 23.

[14] محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقليل التعليم العربي الإسلامي، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، تونس، 2006، ص 87، 88.

بالقاهرة. وظهر ذلك التواصل في فترة رئاسة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور للمسجد الأعظم، من خلال تبادل الخبرات العلمية والأساتذة، وحتى التشاور في الشهادات العلمية.[15]

وقد برزت نخب جامع الزيتونة بروزا واضحا، كغيرها من المؤسسات العلمية الأخرى، مثل الخلدونية في مطلع القرن العشرين، وأصبحت تتبع الحراك السياسي والاجتماعي في العالم العربي الإسلامي وما يلزمه ذلك الحراك من تساؤلات فكرية.[16] فالكثير من الزيتونيين ساهموا في الحركة الإصلاحية التونسية منذ نشأتها، ومنهم دعاة التجديد والاجتهاد والأخذ من علوم الغرب[17]. ومن أفكارهم ارتوت الجرائد والصحف التونسية، ونشطت حركة الفكرية العامة من خلال المؤلفات التي طبعت الساحة الفكرية خلال النصف الأول من القرن العشرين.

3- الحركة الإصلاحية في جامع الزيتونة :

رغم أن جامع الزيتونة كان منبرا علميا مشهورا في القطر التونسي والعالم الإسلامي، يتوافد عليه الطلاب من الدول المغاربية المجاورة، لكونه أحد المنارات الثلاث العلمية الكبرى في العالم الإسلامي التي ذاع صيتها في تلك الفترة إلا أنه لقي

---

[15] -I.S.H.M.N.T - A.Q.O -B: 616-Dos:332-F :117-L’université Ez-Zitouna ,31-01 -1949.

[16] م.أ.ت. ح.و، العلامة الشيخ محمد الشاذلي النيفر 1911-1997. ط 1، مطبعة المغرب للنشر، 2011، ص34.

[17] علي الزيدي، الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية1904-1945. ط 1، تونس: مطبعة دار نهى بصفاقس، 2007، ص 599.

انتقادات واسعة حول نظامه وبرامجه التعليمية التي كانت متداولة في مطلع القرن العشرين. فقد واجهت المؤسسة التعليمية نقدا قاسيا من طرف النخبة التونسية، لأنها لم ترق لتقديم العلوم الدينية المختلفة، واعتبرها البعض أنها ناقصة لا تقدم للدارسين ثقافة جيدة تمكنهم من خدمة الدين ونجاحه، أما العلوم العصرية والفنية فكانت غائبة تماما.[18] وعليه ظهرت بوادر فكر إصلاح البرامج التعليمية الزيتونة.

لقد سادت في المؤسسات العلمية طرق تقليدية في التدريس، تعتمد على الحفظ كلمة بكلمة وسطر بسطر، دون توسيع ملكة الفكر التي تكسب صاحبها عملية التحليل والتركيب، لذلك طالبت جماعة الحاضرة، وعلى رأسها علي بوشوشة، خريج الجامع الأعظم، بضرورة إدخال العلوم العصرية في برامجه، باعتبارها علوم منبهة للأفكار الفاتحة للأبصار، وأن التعليم الزيتوني هو عتيق لا يتماشى مع المعارف الوقتية.[19] لدرجة أن بعض الناقدين اعتبروا أن الجامع العظم متأخر بثلاثة قرون عن المعاهد الأوربية، بسبب سواد برامجه التقليدية ومراجعه القديمة، وضعف

---

[18]- الهادي العبيدي، «الجامع الأعظم وما نود من الإصلاح»،ج الصواب، ع: 570، 29 شعبان 1327هـ/08-02-1929م، ص3.

[19]- ك.ع. إ .إ، الحاضرة. السلسلة: 8، المجلد 2، د ط، مطبعة أروبيس للطباعة، 1995، تونس: ص ص 229-231.

المنهج التعليمي الذي يعتمد على الدروس التلقينية الدينية[20]، وعدم تكوين الطلبة على المهارات العالية، لدرجة أن بعض خريجه كان مستواهم التعليمي أقل مستوى من نظرائهم في الكتاتيب.[21]

والحقيقة أن الكثير من المصلحين التونسيين طالبوا بإصلاح التعليم في جامع الزيتونة، حتى الشيخ عبد الحميد بن باديس خلال زيارته لتونس بتاريخ 1936/12/23، الهادفة لتفقد الطلبة الجزائريين وإرساء لغة التعاون والتآزر بين البلدين في إطار النهضة بالشمال الإفريقي، ومواجهة الاستعمار، وقد حظيت زيارة ابن باديس باستقبال طلبة الزيتونة وعلمائها والصحف التونسية. وألقى خلالها خطابا بمناسبة مأدبة أقامتها المجلة الزيتونية على شرفه، دعا فيها إلى تحديث برامج الزيتونة بغية العصرنة وتلبية حاجة الأمة.

---

20)– لمعرفة البرنامج التعليمي وقائمة الكتب التي يتلقاها الطلبة في جامع الزيتونة بعد 1875 وهي مرحلة الموالية لإصلاحات خير الدين باشا انظر: محمد بن عثمان الحشاشي، تاريخ جامع الزيتونة. تقديم الجيلالي بن الحاج يحي، ط1، دار نهى، تونس: 2006، ص ص 45–47.

21)– عبد المجيد كريم وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية1881–1964، ط 1، منشورات م.ع.ت.ح.و.ت، تونس: 2008، ص26.

كما حيا المجلة الزيتونية في منهجها الإصلاحي الفكري والسياسي، ونصح بالانفتاح على المعارف الإنسانية. وفضلا عن اتصاله بالطلبة وبعض الجزائريين المقيمين في تونس. فقد كان له لقاء مع صديقه الطيب بن عيسى، وبعض الزعماء أمثال الماطري والحبيب بورقيبة (من الحزب الدستوري الجديد)، وشخصيات أخرى منهم: محمد العيد الجباري، وخليفة محمد العيد بن خليفة بن محمد لحساسنة (جزائري الأصل)، وهو مؤسس في التنظيم السياسي المعروف باسم الشباب الموحد لشمال إفريقيا، الذي كان يضم مجموعة من الجزائريين، التونسيين والمغاربة.[22] وعن هذه الرحلة التي كتبت اغتنمتها المجلة الزيتونية للتواصل مابين دول الشمال الأفريقي، وتبادل وجهات النظر بين الحركتين الإصلاحية التونسية والجزائرية، كما تم الاحتفال بالعلامة ابن باديس بإقامة حفل تكريم له يوم 13 شوال 1355ه على شرف العلماء الزيتونيين الطلبة الجمعية الزيتونيين، الذي أردف بمأدبة عشاء في اليوم الموالي. ومن المواضيع التي تم التطرق إليها وهي تبادل وتقوية الزيارات بين القطرين الشقيقين والمغرب وطرابلس، والتطلع على مناهج الإصلاح الديني.(23)

---

22)– حميدي أبو بكر الصديق. قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1920- 1954. رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، قسم التاريخ،2011م، ص210.

23)–>>اقتبال المجلة الزيتونية للشيخ عبد الحميد بن باديس<<.المجلة الزيتونية، الجزء 5، المجلد1، ذي القعدة 1355هـ/ جانفي1937م،ص.

ورغم أن جامع الزيتونة عرف إصلاحا عام 1875 في عهد خير الدين باشا، بفعل المشروع الذي قدمته اللجنة الإصلاحية، في جريدة الرائد التونسي، الذي يحتوي خمسة أبواب تضم سبعة وستين فصلا، تشمل مختلف الحيثيات الواجب إصلاحها.[(24)] ومن الذين وجهوا نقدا لاذعا لتلك البرامج نذكر الهادي العبيدي الذي اعتبر أن هناك خلل ونقص في تكوين الطالب الزيتوني، بقوله:" العلوم الدينية التي تدرس به ناقصة ومبتورة ... أما فلسفة التشريع وحكمته فلا يشم لها رائحة، أضف إلى ذلك علم الكلام حيث يدرس من مصادر مشوبة بالتحزبات المذهبية والأهواء السياسية والخرافات والبدع...". وعليه فإن البرنامج الزيتوني كون طلبة جهلة بالتاريخ والأدب العربي.[(25)]

إن إصلاح البرامج الزيتونية كان يتطلب إدراج بعض المواد الجديدة، مثل:الأدب العربي وتاريخه، تفسير القرآن وسرح الأحاديث، وفلسفة التشريع في المرتبة الوسطى، الإنشاء، التاريخ التونسي والعالم الإسلامي، والفلسفة الإسلامية، وإدخال العلوم العصرية مثل الرياضيات والطبيعية.[(26)] وعبر العلامة الطاهر بن عاشور عن العلوم المادية (بالعلوم الحاجية أو العلوم الدنيوية)، بأنها ضرورية في معرفة الحياة الاجتماعية والتطور الحضاري

---

[24]- حفناوي عمايرية، الصحافة وتجديد الثقافة- تونس في القرن التاسع عشر. ط1، الدار التونسية للنشر، تونس: 1994، ص 253.

[25]- العبيدي، «الجامع الأعظم ...»، ج الصواب،ع: 570، مصدر سابق، ص3.

[26]- نفسه، ص3.

[27] وهذا الاتجاه ظهر موازيا للاتجاه الذي كان سائدا لدى بعض من التقليدين، بعدم نقد التعليم وإيجاد طرق منهجية وتنظيمية له، لأن ذلك يؤثر على الطبقة المعلمة ويحد من إبراز قدراتهم العلمية اتجاه الطلبة.[28]

3-1 مراحل الإصلاح في جامع الزيتونة:

بفعل تعمق الحقوق الاجتماعية والعلمية في أذهان الطلبة الزيتونيين، فإنهم قاموا بالمطالبة ببعض الإصلاحات في جامع الزيتونة، المتعلقة بالجوانب العلمية والاجتماعية، التي كانوا يعانون منها داخل الحرم الجامعي، أو خلال فترة توظيفهم ما بعد التخرج، وذلك باعتماد على أسلوب الإضراب، وهو ما حتم على الجهات الوصية القيام بإصلاحات في الجامع الأعظم على مراحل زمنية متعاقبة.

3-2 النهوض الطلابي الزيتوني للإصلاح:

كان نشاط الزيتونيين في غالب الأحيان يتجاوز حدود الجامع الأعظم ليكتسح الساحة السياسية العامة، ذلك أنهم تعرضوا لضغوطات ومضايقات من نظام الحماية، و كان يدفعهم العمل إلى استخدام الطرق النقابية تارة وإتباع الأساليب السياسية تارة

---

[27]– الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، مرجع سابق، ص9.

[28] – نفسه، ص10.

أخرى[29]، كما أن حركة الشباب التونسي قامت بدور بارز في نشأة الحركة الطلابية وتطورها ومن أبرز رجال تلك الطليعة علي باش حانبه ورفقائه عبد الجليل الزاوش، حسن قلاتي وعبد العزيز الثعالبي، فهم الذين جاؤوا بفكرة تجميع الطلبة في منظمة خاصة بهم، فمنذ تأسيس حركة الشباب التونسي، وظهور جريدة التونسي الناطقة باسمهم عام 1907م، التي طالبت بإصلاح التعليم الزيتوني، فبعد أن وجه الطلبة عريضة للحكومة تتضمن جملة من المطالب، منها جعل مواعيد الدروس قارة تقدم في أيام وساعات معينة، وإرغام المشايخ على الإتيان بأسباب معقولة ومبررة في حال تخلفهم عن الدروس المخصصة لهم. تلقين دروس التاريخ والجغرافيا بصفة منتظمة من قبل أساتذة مختصين. الترخيص لذوي الكفاءات من الطلبة التقدم للامتحانات بعد ثلاث سنوات من الدراسة بدلا من سبع سنوات، والتخلص من ضريبة المجبى المفروضة من سلطة الحماية على الطلبة.

بغية المطالبة بالإصلاح، عقد طلبة الزيتونة اجتماعا عاما بفناء الجامع الأعظم بتاريخ 10مارس 1910م بحضور حوالي 700 طالب لمناقشة مسألة التعليم بالزيتونة، تمخض عنه رفع جملة من الانشغالات إلى الكاتب العام السيد روا حملتها اللجنة المشكلة من السادة إبراهيم بن شعبان ومحمد الحبيب الجزائري، محمد جعفر والصالح النجار، طالبت بما يلي:

[29])- مختار العياشي، البيئة الزيتونية 1910-1945، مساهمة في تاريخ الجامعة الإسلامية التونسية. تعريب. حماد الساحلي، المطابع الموحدة، 1990، تونس: ص143.

1. إبطال قانون مدة سبع سنوات دراسية كاملة للحصول على شهادة التطويع.
2. تحديد البرامج والقانون الأساسي في الجامع العظم.
3. تشكيل لجنة إدارية من مشايخ الزيتونة منتخبة من الطلبة، للسهر على السير الحسن والبرامج الدراسية.
4. إعفاء الطلبة من قرعة الخدمة العسكرية.
5. إلغاء لجنة الامتحان للدخول التحضيري، المكونة من أستاذين وتعويضها بلجنة منتخبة من طرف
الطلبة، وتعديل نظام الامتحانات.
6. أن يكون لمعتمدي الحكومة صوت في الامتحانات والمناظرات.[30] حيث وضع الطلبة نظارة الجامع الأعظم على المحك للمطالبة بالإصلاحات من طرف حكومة الحماية، بسبب الإصرار على مطالبهم التي كانت متواصلة في كل أسبوع[31]، مما جعل وزير القلم يقوم بالتهدئة وتقديم الوعود بالإصلاحات مقابل عودة الطلاب لمقاعد الدراسة، وبين أن سبب عدم القيام بالإصلاح هو تجنب التدخل في شؤون المعاهد الدينية، مما أقنع

[30]- «إصلاح الجامع الأعظم»، ج الحاضرة، ع: 1059، 04 ربيع الأول 1328هـ/ 10-03-1910 م، ص1.

[31] - «حادثة الزيتونيون»، ج الحاضرة، ع: 1063، 09 ربيع الأول 1328هـ/ 19-04-1910م، ص2.

الطلبة الزيتونيين بالعودة إلى مقاعدهم، والاستمرار في المفاوضات.[32]

فالمطالب الطلابية انصبت أساسا حول تحسين ظروف الدراسة والإقامة والإعفاء من ضريبة المجبى، وانتهى الأمر بإضراب 18 أفريل 1910م[33] وبعد يومين من الإضراب زار حسن قلاتي وعبد الجليل الزاوش وعلي باش حانبه وعبد العزيز الثعالبي[34] وألقوا خطابا دام ساعتين بحضور الطلبة والأساتذة الشبان بدعوى من الطلبة المضربين ولجنة المضربين الزيتونيين، وبعد الانتهاء من الإضراب والإفراج على الطلبة الموقوفين، نظم الزيتونيون مع حركة الشباب اجتماعا عاما بالساحة المواجهة للمدرسة الصادقية، [35] يوم الخامس ماي 1910م[36] احتفالا

---

32)- « انتهاء اعتصاب الطلبة»،ج الحاضرة، ع: 22،1065 ربيع الثاني 1328هـ/03-05-1910 م، ص3.

33)- مختار العياشي، الزيتونة والزيتونيين في تاريخ تونس المعاصر(1883-1958). ط 1، مركز النشر الجامعي بجامعة الزيتونة،تونس: 2003، ص.145

34)- محمد ضيف الله، المدرج والكرسي، بحوث حول الطلبة التونسيين بين الخمسينات والسبعينات. تقديم. رءوف حمودة، ط 1، صفاقس، تونس: مكتبة علاء الدين، تونس: 2003، ص16.

35)- العياشي، مرجع سابق، ص 204.

36)- يذكر مختار العياشي يوم 13 ماي 1910، أما جريدة الحاضرة يوم 05 من نفس الشهر، وهي الصحيحة لأنها أشارت إلى يوم الجمعة الفارط عند كتابة المقال يوم الثلاثاء 10-05-1910.انظر العياشي، نفسه،ص 204 وكذلك «صدى حركة

بانتصارهم. وانتهى الإضراب برفت سبعة عشر طالبا تم طردهم من الجامع الأعظم ومقرات إقامتهم نحو الجنوب تحت المراقبة المدنية، وسجن بعضهم بأمر من محكمة الدريبة أربعة أيام سجنا مع الطرد من التعليم، والمحظوظون منهم طردوا لمدة سنة واحدة، حتى يكونوا عبرة لغيرهم من الطلبة الآخرين في المستقبل، وكل ذلك حفاظا على الهدوء والأمن الداخلي .[37]

عموما فقد حقق الطلبة على بعض المكاسب التي رفعت للسلطة الوصية، منها إلغاء الامتحان المهيأ لتحضير شهادة التطويع، وتحديد اللجنة في كل سنة، وتوصية الإدارة بمعاملة الطلبة برفق.[38] ورغم محاولة الإدارة الوصية إدخال بعض المواد العصرية في المقررات الدراسية، وتواصل إقبال الطلاب على الزيتونة، حتى بلغ عددهم 3200 طالبا عام 1938م ضمن ثلاثة وتسعين فرعا لمؤسسة الزيتونة في مختلف مناطق البلاد، ليرتفع ذلك العدد خلال فترة وجيزة إلى حوالي 500 طالب عام 1946م و9816 بعد سنتين أخيريتين[39].

رغم الإصلاحات التي مست جوانب التعليم الزيتوني فإن النشاط الطلابي لم يتوقف، وظلت الحركة الطلابية تعارض

الزيتونيين»،ج الحاضرة، ع: 1066،01 جمادي الأولى 1328هـ/ 10-05-1910م، ص3.

37- العياشي، مرجع سابق، ص146.

38)- «صدى حركة الزيتونيين»، ج الحاضرة، ع: 1066، مصدر سابق، ص3.

39)- ضيف الله، مرجع سابق، ص 20.

السلطات الفرنسية، حيث حدث إضراب آخر لطلبة جامع الزيتونة يوم 6 أكتوبر 1922م، احتجاجا على جلب فرنسا قسما من سكان اليونان الذين كانوا يقيمون في مدينة أزمير وتم ترحيلهم إلى مدينة بنزرت التونسية بسبب هزيمة اليونانيين أمام الأتراك واسترجاعهم لأزمير، حيث يشير عبد الرحمان اليعلاوي الجزائري الأصل إلى دوره وتزعمه لتلك المظاهرة. وكذلك المشاركة في المظاهرة التي نظمت بالعاصمة يوم 28 نوفمبر 1925م احتجاجا ضد تنصيب تمثال الكاردينال لافيجري، مما عرضه إلى الطرد نحو التراب الجزائري يوم 7 ديسمبر 1925م، بناء على المرسوم الملكي الصادر بتاريخ 7 جوان رفقة مجموعة من رفاقه منهم:العربي القروي، محمد النجار وأحمد الشطي[40].

إن مشاكل الطلبة لم تنته عند ذلك الحد، وظلوا يعانوا من تأثيراتها مثل:إطالة فترة التقدم للامتحان النهائي إلا بعد سبع سنين كاملة من الدراسة. وتهميش خريجي الزيتونة وسوء معاملتهم، والرغبة في أحداث إصلاحات واسعة في نظام التعليم الزيتوني، جعلت الطلبة جامع الزيتونة وفرعه بسيدي يوسف يضربون عن الدراسة منذ 13 ديسمبر 1928، رفضا للأمر العلي الصادر في10 ذي الحجة 1317ه الموافق ل15 جوان 1927م، الذي يضيق الخناق على حاملي شهادة التطويع من الزيتونة للتوظيف

---

40)- مجموعة مؤلفين، تونس الأمس وتونس الغد، ط 1، مطبعة بيت الحكمة، تونس: 2002، ص ص 116-119.

في جهاز العدالة من بداية عام 1929م،[41]فمهنة العدول مثلا كان يشترط فيها إجراء الطالب مناظرة في مواد لا يدرسها الطلبة الزيتونيين، منها اللغة الفرنسية.[42]وظلت الإضرابات متواصلة، منها إضراب 1933م بمناسبة أحداث التجنيس التي تورط فيها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، باعتباره كان عضوا في المجلس الشرعي ورئيسا جامع الزيتونة.

3-2 إصلاحات 1933:

تمت هذه الإصلاحات بموجب مرسوم الباي 30 مارس 1933 القاضي المتعلق بالجانبين الإداري والتعليمي في الجامع الأعظم. فالجهاز الإداري المسير أصبح يتكون من الشيخ الذي يعين من سمو الباي، باقتراح من الوزير الأول، والمجلس العلمي، مساعدان نائبان للشيخ، كاتب عام، مراقبين، كاتبين اثنين مساعدين وخدم.[43] كما نصت الإصلاحات الحديدة على وجوب إعطاء الدروس الدينية واللغوية والضرورية التي تتماشى والدين الإسلامي، مجانية التعليم في كل مراحله، وإشراف الجامع الأعظم

---

[41]- الطيب بن عيسى، « الإضراب العام عن التعليم بالمعهد الزيتوني»، ج الوزير، ع: 264، 16 رجب 1347هـ/27-11-1928م، ص1.

[42]- ضيف الله، مرجع السابق، ص17.

[43] –I.S.H.M.N.T, A.Q.O, L'Université Ez-zitouna, 31-01-1949.B: 616, Dos: 1, s/dos: 232, F: 109.

على ملاحقه، وتحديد المواد التي تُدَّرَس في الزيتونة وفروعها.(44) وتم تحديد الفترة الدراسية لكل طور من أطوار التعليم الزيتوني، كما تم تحديد البرامج والمراجع التعليمة لكل سنة معينة وتنظيم آلية الانتقال من سنة لأخرى.(45)

لقد تواصلت إضراب الطلاب الزيتونيين عام 1936م الذي أسفر عن مواجهة بين الطلبة ورجال الأمن برحبة الغنم في 22 فيفري 1936م، الذي تماشى مع تصاعد مع نشاط الحزب الدستوري التونسي الجديد، وأسفر الإضراب في نهاية المطاف عن اعتقال ثلاثة وثلاثين طالبا، وإبعاد طلبة آخرين إلى حواضرهم الأصلية.(46)

---

[44]) – المواد هي التوحيد، الحديث، الترتيل، تقنيات الحديث، سيرة النبوية، طرق التدريس، القانون، تقسيم المواريث، المنطق والجدلية، البلاغة، وتاريخها، النقد الشعري، علم المعاني، النظريات. حول الموضوع انظر: ضيف الله، مرجع السابق، ص17، 18.

[45]– Ibid., B: 616, Dos: 1, s/dos: 232, F: 110.

[46])– محمد بوطيبي، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية (1900–1930)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2008/2007، ص41.

ـ المؤتمر الأول لجمعية طلبة شمال إفريقيا ودعوته لإصلاح جامع الزيتونة:

من المعروف أن جمعية الطلبة المسلمين شمال إفريقيا[47] قامت بتنسيق نشاطها بين الطلبة الإقليم المذكور في مختلف الشئون الطلابية، وفي إطار التعاون والتنسيق عقدت العديد من المؤتمرات في تونس، الجزائر والمغرب وغيرها ومنها المؤتمر الذي عقد في شهر أوت 1934م في المدرسة الخلدونية بتونس، إذ تشير الوثائق بأن هذا المؤتمر عقد من طرف الطلبة الجزائريين والتونسيين والأساتذة وطلبة جامع الزيتونة[48]، حيث انصبت اهتماماتهم على المطالب التالية:

1 تدريس اللغة العربية في كل دول شمال إفريقيا.
2 إصلاح التعليم في جامع الزيتونة .
3 إصلاح التعليم في جامعة القيروان وفاس.
4 ضرورة التعليم المهني والزراعي في شمال إفريقيا.

---

[47] اختلفت الآراء حول تأسيسها منها عام 1912 بالجزائر ومنهم عام 1927 باريس من طرف أحمد بلا فريج ومواطنه علال الفاسي والبعض في العشرينات، وبدأت عقد مؤتمراتها بداية من عام 1931، ويرى البعض أنها تأسست عام 1919 بالجزائر تحت اسم رابطة الطلبة الأهالي وتغير اسمها إلى الطلبة المسلمين الجزائريين عام 1926.
أنظر: محمد بلقاسم، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910/1328م– 1373 /1954هـ، (رسالة ماجستير غير منشورة)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر: 1993/1994م،، ص191، 192.

[48] ANT, Congré organisé par l'association des étudiants Nord Africains.09-1931- S:E-C: 544 –DOS:6.-DN:1

5 تعليم المرأة المسلمة وفي هذا المؤتمر لم تناقش المطالب السياسة من الجزائريين والمغاربة.[(49)]

3-4 إصلاحات 1944:

لقد تحددت هذه الإصلاحات بموجب مرسوم 20 أفريل 1944، والذي حدد رتب أساتذة التعليم العالي إلى أساتذة تعليم العالي الذي رتبهم في ثلاثة أولى، ثاني وثالث طبقا لدرجات ترقية معينة. وقصد النهوض بالتعليم ورفع المستوى التعليم فلقد حددت شهادات المدرسيين، فأساتذة التعليم العالي يدرسون طلبة مرحلة التعليم العالي، وأساتذة القسم الأول والثاني يدرسون المرحلة الثانوية، أما المرحلة الابتدائية فيدرسها أساتذة القسم الثالث وحاملي الشهادات الرسمية* منها التطوعية الأهلية، والتحصيل والعلمية. طبقا لما جاء في المادة 64 من المرسوم السابق.[50]

3-5 إصلاحات 1945:

لقد تجددت الاحتجاجات المطالبة بإصلاح التعلم الزيتوني بعد الحرب العالمية الثانية بسبب الاحتجاجات الطلابية التي لقيت تشجيعا من الشيخ الطاهر بن عاشور الذي أزيح من مشيخة الجامع الأعظم من قبل، حيث انضم المدرسون إلى مطالب الطلبة، بعقد مؤتمر المدرسين 1944، الذي طالب بإصلاح التعليم، وإعادة ابن عاشور لمنصبه ثانية، الذي وافقت عليه الحكومة في شهر أفريل 1945، فكان ذلك دافعا لجملة من الإصلاحات تمثلت في ما يلي:

---

[49] ANT, op.cit, S:E- C: 544 –DOS: 6 -DN:1.

[50])- I.S.H.M.N.T- A.Q.O- B: 616-Dos:1,s/dos:232-F:112, L'Université Ez-zitouna,31-01-1949.

توسيع فروع الجامع الأعظم إلى حوالي خمسة وعشون فرعا.[51]
* إلحاق مختلف الفروع رأسا بمشيخة الجامع الزيتونة.
* رفع عدد الطلبة بفروع الجامع الأعظم الذي نجاوز العشرين ألفا.
* الاهتمام بشؤون الطلبة ماديا ومعنويا بإنشاء الحي الزيتوني.
*إعادة تنظيم التعليم الابتدائي القرآني المهني للتعليم الزيتوني.
وتوصل الطلبة إلى كسب المزيد من الإصلاحات في الخمسينات بصدور مرسوم لبناية جامعة كبرى للتعليم الزيتوني وأنشأت شعبة العلوم العصرية وأحدث لها شهادة تهيئة للتعليم العالي، وتقرر إرسال بعثات طلابية نحو المشرق.[52]

4- موقف السلطات الفرنسية من النشاط الطلابي والتعليم الزيتوني:

حتى تضع السلطات الفرنسية حدا للنشاط الطلابي ويتم القضاء عليه، فإنها اعتمدت أساليب متنوعة منها المحاكمات القضائية

[51])– محمود الشمام، عبد العزيز الساحلي، شيوخ الزيتونة في القرن الرابع عشر هجري. تونس: د ط، المطبعة العصرية بتونس، 1423ه/2000 م، ص 105.

[52] محمود الشمام، عبد العزيز الساحلي، شيوخ الزيتونة في القرن الرابع عشر هجري، نفسه، ص 106.

*المدارس القرينية العصرية: هي مدارس ابتدائية للذكور والإناث حرة مهمتها تعليم القرآني، والغتين العربية الفرنسية والحساب والجغرافيا وبرامج أخرى مستوحاة من التعليم الثانوي حول الموضوع أنظر:

I.S.H.M.N.T- A.Q.O- B: 616-Dos:1,s/dos:232-F:133, écoles coraniques modernes, 1948.

والزج بالطلبة في السجون أو إصدار قرارات بطرد الطلبة من الجامع الأعظم أو من الإقامة الطلابية ومضايقتهم ووضع البعض منهم تحت الرقابة الأمنية الطلابية والجنوح إلى سياسة إصلاح التعليم الزيتوني، سواء بالنسبة للطلبة التونسيين أو الجزائريين.
والجدول التالي يلخص لنا طبيعة العقوبات ونوع العقوبات المترتبة عن الإضرابات الطلابية:

نوع العقوبة	لسنة	عدد الموقوفين	سبب العقوبة	المنطقة المرحل لها
الطرد من الجامع العظم والإقامة 15 يوما لـ4 طلاب	1934م	7 تونسيين، بعض الطلبة الجزائريين والمغاربة	القيام بأنشطة دستورية في سبتمبر 1934 - تكوين شعبة دستورية تورط في حوادث1929	///
الطرد من الجامع الأعظم والسكن - أحكام سجن (3-10) أشهر+ غرامة مالية الإقامة الجبرية وحضر الإقامة في بعض المناطق المعرضة	1936م	66 طالب تونسي 20 طالب جزائري تم طردهم	إثارة الشغب في الجامع في قفصة والقيروان - القيام بنشاط في الحزب الدستوري- تحريض الإضراب عن الدروس والعصيان والقيام بمظاهرة في الطريق العام بقفصة	المناطق الداخلية والساحلية ماعدا طالب جزائري واحد

الطرد من الجامع الأعظم وسكن الطلبة الإقامة الجبرية والمراقبة الإدارية	1937م	22 طالب تونسي منهم:3 جزائريين	تكوين لجان طلابية، التحريض على الإضراب، إثارة الشغب تحرير لائحة أمضاها سكان الكاف، تكوين جمعية غير معترف بها الشبيبة الزيتونية	المناطق الداخلية والساحلية (53)

من خلال الجدول نلاحظ أن جملة الطلبة المحكوم في سنة 1936م، بأحكام مختلفة تراوحت بين الطرد والسجن والنفي وغيرها من الحكام المخافة نظرا، نظرا لأن الطالب الزيتوني، قد تحرر، وأصبح يطالب بإصلاح نظام التعليمي التونسي، حتى يتماش التعليم، لقضايا الشغل التونسي، والنظم العلمية العصرية بعيدا عن التجبر والتسلط الذي كانت تفرضه إدارة التعليم في المؤسسات التعليمية. وأصبح الطالب التونسي يتبنى مطالبهم بأنفسهم، نتيجة أن الأفكار التي طالبت إصلاح النظام التعليمي والزيتوني.

---

[53] مختار العياشي، البيئة الزيتونية 1910-1945،المرجع السابق، ص 191.

* قبل 1933 كانت شهادة التطويع فقط، لكن بعد هذا التاريخ تم إحداث الشهادات الأهلية التحصيل والعلمية أنظر : A.Q.O- B: 616- I.S.H.M.N.T- .Dos:1,s/dos:232-F:112, L'Université Ez-zitouna,31-01-1949

5- المدارس القرآنية العصرية* :

في إطار البرنامج التعليمي وإخضاع المؤسسات العلمية لسلطة الدولة، تم إحداث تغيير على المدارس القرآنية التقليدية القديمة والمعروفة عادة بالكتاب، على مستوى هياكلها وتنظيماتها وبرامجها، بموجب قرارات مرحلية متعاقبة، وتم إحداثها وترتيبها بموجب مرسومي 26 جوان 1936و 19أوت 1944.

وأصبح لها قانون خاص بها عام 1938، وفي عام 1942 وبأمر من المقيم العام في تونس تم وضع العديد من المدارس القرآنية تحت إشراف إدارة التعليم العمومي، وفرض جملة من القوانين والترتيبات، الخاصة بتلك المؤسسات.[54]

لكن مرسوم 19 أوت 1944 أحكم قبضة إدارة التعليم العمومي على المدارس القرآنية العصرية بشدة من حيث إنشاء مدارس جديدة الذي يكون بموافقة إدارة التعليم العام[55]، والتسيير الإداري و البيداغوجي، حيث تم إحداث شروط أساسية لتوظيف لمعلمي اللغتين العربية والفرنسية والإداريين لتلك المؤسسات[56] والتسيير المالي للحكومة، التي قدرت عام 1947 ب 61894369 فرنك وارتفعت عام 1948 إلى 77300000 فرنك.لتسير أجور الموظفين، الأدوات، الإقامة، تكاليف التلاميذ المعوزين والأدوات المدرسية والمناظرات العلمية وغيرها...[57]

---

[54] I.S.H.M.N.T- A.Q.O- opcit ; B: 616-Dos:1,s/dos:232-F:133.
[55] BID; B: 616-Dos:1,s/dos:232-F:136,
[56] IBID ; B: 616-Dos:1,s/dos:232-F:134.
[57] IBID; B: 616-Dos:1,s/dos:232-F:135.

والنتيجة هي إقبال شديد من التلاميذ التونسيين على التعليم القرآني العصري، وذلك بتوافد الذكور والإناث على المؤسسات القرآنية العصرية*:

ففي عام 1920 لم تكن في المملكة 20 كتابا تحتوي على 44 حجرة دراسية، تضم 1310 تلميذ من جنس الذكور فقط، لكن الحصيلة قد ارتفعت في عام 184 إلى 103 مؤسسة تعليم القرآني العصر، تحتوي 513 قسما، يدرس به تعداد 20967 تلميذا، منهم 1360 فتاة و 19607 من الذكور[58].

الخلاصة:

- كان جامع الزيتونة مركزا للإشعاع العلمي في تونس مثل جامع الأزهر في مصر، مما جعله قبلة للتونسيين والمغاربة لإكمال دراستهم في الزيتونة .
- مثل جامع الزيتونة مرحلة متقدمة في العلوم التي كانت تقدم للتلاميذ في المراحل الأولية ، سواء في تونس أو البلدان المغاربية الأخرى. فقد كان الطلاب الزيتونيين يدرسون سبع سنوات كاملة للتخرج من جامع الزيتونة ، لتولي المهام التعليمية والوظيفية في بلدانهم الأصلية.
- لقد تنوعت البرامج الدراسية في الجامع الأعظم، واقتصرت عموما على تدريس المواد الدينية والأدبية والإنسانية البسيطة، دون تدريس المواد الحية والمواد التجريبية ، مما بين

[58] IBID; B: 616-Dos:1,s/dos:232-F:137.

التخلف العلمي في تونس ، فلم يصل المستوى التعليمي الذي كان سائدا في الجامعات والمعاهد الأوربية .

– رغم أن جامع الزيتونة كان المؤسسة التعليمية الأولى في بلدان المغرب العربي، فكانت نقائصه بارزة عند الفئة الطلابية والمعلمين، والمصلحين ، مما جعله يتعرض لانتقاد النخبة العلمية والإصلاحية، تجلت في الانتقادات في المحلات والدوريات التونسية، أو المظاهرات التي تزعمتها الحركة الطلابية التونسية.

– لقد تفطنت السلطات الفرنسية لدور جامع الزيتونة في تونس ، ودوره في المحافظة على الهوية التونسية ، لذلك حاولت إنشاء مؤسسات تعليمية موازية لجامع الزيتونة وفروعه المختلفة ، بتشجيع التعليم العصري اللائكي ، قصد تكوين نخب عصرية تونسية منفتحة على الحضارة والمدنية الغربية الفرنسية. وهذه النخبة هي التي حاربت التعليم الزيتوني وأوصدت أبوابه بعد الاستقلال التونسي بقليل.

– لقد توجت نقائص التعليم الزيتوني ومطالب الإصلاحية للزيتونة بجملة من الإصلاحات في التنظيم ، والمناهج والبرامج تتماشى والعصرنة على مراحل زمنية مختلفة خلال النصف الأول من القرن العشرين.

– عموما فالجامع الأعظم لعب دور كبير في إيجاد نخبة علمية وفكرية في تونس وبلاد المغارب ، انعكست تأثيراتها في الحركة الإصلاحية التي طبعت البلدان المغاربية خلال النصف الأول من القرن العشرين.

المصادر والمراجع:

1. ضيف الله محمد ، المدرج والكرسي، بحوث حول الطلبة التونسيين بين الخمسينات والسبعينات. تقديم. رؤوف حمودة، ط 1، صفاقس، تونس: مكتبة علاء الدين، تونس: 2003.
2. الحشايشي محمد بن عثمان، تاريخ جامع الزيتونة. تقديم الجيلالي بن الحاج يحي،ط1، دار نهى، تونس: 2006.
3. الزيدي علي، الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية1904-1945. ط 1، تونس: مطبعة دار نهى بصفاقس، 2007.
4. الطويلي أحمد، دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية بتونس، تونس: مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، تونس: 1992.
5. العياشي مختار، البيئة الزيتونية 1910-1945، مساهمة في تاريخ الجامعة الإسلامية التونسية. تعريب. حماد الساحلي،م.و، تونس: 1990.
6. العياشي مختار، الزيتونة والزيتونيين في تاريخ تونس المعاصر(1883-1958). ط 1، مركز النشر الجامعي بجامعة الزيتونة، تونس: 2003.
7. بن عاشور محمد الطاهر، أليس الصبح بقليل التعليم العربي الإسلامي، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، تونس، 2006.
8. حفناوي عمايرية، الصحافة وتجديد الثقافة- تونس في القرن التاسع عشر. ط1، الدار التونسية للنشر، تونس: 1994، ص 253.
9. حميدي أبو بكر الصديق. قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1920– 1954. رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، قسم التاريخ،2011م، ص210.
10. خالد أحمد، أضواء من البيئة التونسية، الطاهر الحداد ونضال جيل. ط 3، الدار التونسية للنشر، تونس: 1985، ص 30.
11. ك.ع. إ .إ، الحاضرة. السلسلة: 8، المجلد 2، د ط، مطبعة أروبيس للطباعة، تونس: 1995.

12. - كريم عبد المجيد وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية1881-1964. ط 1، منشورات م. ع. ت. ح. و. ت ، تونس:2008.
13. م.أ.ت. ح.و، العلامة الشيخ محمد الشاذلي النيفر1911-1997. ط 1، مطبعة المغرب للنشر،تونس:2014.
14. مجموعة مؤلفين، تونس الأمس وتونس الغد، ط 1، مطبعة بيت الحكمة، تونس: 2002.
15. -محمود الشمام، عبد العزيز الساحلي، شيوخ الزيتونة في القرن الرابع عشر هجري. تونس: د ط، المطبعة العصرية بتونس: 1423ه/2000 م.
16. بوطيبي محمد، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية (1900-1930). (رسالة ماجستير)، قسم التاريخ ،جامعة الجزائر2)، 2007/2008.
17. -بلقاسم محمد، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1328/1910م– 1373 /1954ه، (رسالة ماجستير)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر: 1993/1994م.
18. الهادي العبيدي، «الجامع الأعظم وما نود من الإصلاح»،ج الصواب، ع: 570، 29 شعبان 1327ه/08-02-1929م.
19. « انتهاء اعتصاب الطلبة»،ج الحاضرة، ع: 1065،22 ربيع الثاني 1328ه/03-05-1910 م، ص3.
20. «إصلاح الجامع الأعظم»، ج الحاضرة، ع: 1059، 04 ربيع الأول 1328ه/ 10-03-1910 م، ص1.
21. «حادثة الزيتونيون»، ج الحاضرة، ع: 1063، 09 ربيع الأول 1328ه/ 19-04-1910م، ص2.
22. الطيب بن عيسى، « الإضراب العام عن التعليم بالمعهد الزيتوني»، ج الوزير، ع: 264، 16 رجب 1347ه/27-11-1928م،.

23. العبيدي، «الجامع الأعظم ...»، ج الصواب،ع: 570، مصدر سابق، ص3.
24. -<اقتبال المجلة الزيتونية للشيخ عبد الحميد بن باديس>>.المجلة الزيتونية، الجزء 5، المجلد1، ذي القعدة 1355ه/ جانفي1937م،ص.
25. -«صدى حركة الزيتونيين»،ج الحاضرة، ع: 1066،01 جمادي الأولى 1328ه/ 10-05-1910م، ص3.

26. Lucien. (Heudebert), «L'enseignement musulman en Tunisie» in R. le musulman , NO 25, 897, pp.177, 178.
27. -ANT, Congré organisé par l'association des étudiants Nord Africains.09-1931- S:E-C: 544 –DOS:6.-DN:1
28. I.S.H.M.N.T, A.Q.O, L'Université Ez-zitouna, 31-01-1949.B: 616, Dos: 1, s/dos: 232.